القدرات الصاروخيّة العربيّة والإسلاميّة

ونقطة الضعف الإسرائيليّة في الحروب المقبلة

. كمال مساعد* .

يَنْطلق واقعُ القدرات الصاروخيّة العربيّة من مُسلَّمة مفادُها أنّ الترسانة العسكريّة الإسرائيليّة تَمْتلك مفاتيحَ التفوُّق العسكريّ في الشرق الأوسط، في كلّ مجالات التسلّح الجويّة والبريّة والبحريّة والنوويّة، وعلى مدى الأعوام المقبلة على الأقلّ. إلاّ أنّ بعض الدراسات لا تَنْفي احتمالَ قيام روسيا وكوريا الشماليّة بالعودة بالعالم إلى الحرب الباردة. كما لا تَنْفي دراساتٌ أخرى احتمالَ تحقيق انتصار عسكريّ على إسرائيل بفضل استخدام طرائق غير معهودة، أو بفضل تطوير شبكة صاروخيّة عربيّة وإيرانيّة على قاعدة تقانة الصواريخ المتطوّرة من نموذج نودنغ ـ ١ وسكود ـ ب وس. س ـ ٣٠٠ الذي يصل مداه إلى ألف كيلومتر؛ الأمر الذي قد يضع الكيانَ الصهيونيَّ مكشوفًا ومعرَّضًا لكلّ التوقّعات والمفاجآت. لهذا فإنّ البواعث المثيرة للقلق لدى الإسرائيليّين تَنْطلق من مفهوم عامّ، وهو أنّ التهديد الذي تشكّله الجيوشُ العربيّةُ على إسرائيل يُعتبر بمثابة الخطر الأوّل على وجودهم؛ ذلك لأنّ العالم العربيّ ـ حسبما يَذْكر آرييل شارون ـ يَمْتلك الإمكانات والوسائلَ لتجسيد عدائه على أرض الواقع، بأن يَهْزمَ إسرائيلَ في الحروب ويصفّيَها، سواء عبر حرب كبيرة واحدة، أو عبر حرب استنزاف مستمرّة.

خصائص التسلّح والحرب المقبلة

أمام ذلك، كان الحُكْمُ على طبيعة أيّ حرب مستقبليّة بين العرب وإسرائيل يَسْتوجب رَبْطَ خصائص التسلّح في المنطقة بالهدف الذي حُدِّد له مسبقًا. ولعلّ من أبرز أوجه هذا الربط ما يأتي:

١ ـ تعدُّد التحوُّلات التي طرأتْ على وسائل القتال التقليديّة وتنوُّعُها. ويأتي في مقدَّم هذه التحوُّلات التركيزُ على التطوّر التكنولوجيّ للأسلحة الموجَّهةِ الدقيقةِ والبعيدةِ المدى، الأمر الذي من شأنه أن يَفْصل عنصرَ تدمير الأهداف عن عنصر احتلال الأرض. وفي هذه الخاصيّة يَنْسجم تسلُّحُ دول المنطقة مع اتجاهات التسلّح العالميّة، من حيث إيلاءُ أفضليّةٍ لأسلحة الحرب الإلكترونيّة، وللقدرة الفائقة على نقل التوجيهات، والتزوُّدِ بأجهزة الرؤية الإلكترونيّة وأنظمةِ المعلومات الآنيّة العاملة بالكومبيوتر وأجهزةِ إطلاق الصواريخ الدقيقة والطائرات من دون طيّار.

٢ ـ بعد حرب ١٩٧٣، حَدَث تغيُّرٌ في النمط الأساس للأسلحة والأنظمة المستعملة، بحيث أصبحتْ إسرائيل ومعظمُ الدول العربيّة تتسلّح بتجهيزات متطوّرة من صنع الولايات المتحدة وأوروبا الغربيّة. فمصر والأردن والسعوديّة من الزبائن الرئيسين للحوّامات والطائرات المقاتلة والدبّابات الغربيّة. والانعكاس الأول لهذا المعطى هو أنّه في أيّ حرب مستقبليّة سوف تتلاشى ميزةٌ إسرائيليّةٌ تقليديّة، إذ ستجد إسرائيلُ نفسَها تقاتل ضدّ أسلحة غربيّة مماثلة للأسلحة التي تَمْتلكها.

٣ ـ تتمتّع إسرائيل بالتفوّق في حيازة الذخيرة المُحْكمةِ التوجيه Precision Guided Munition وتُنْتج بنفسها قسمًا من هذه الذخيرة. كما أنّها تتمتّع بالتفوّق في الأجهزة المتطوّرة للقيادة والرقابة والاتصالات والاستخبارات، ولديها القدرةُ على أن تصبح بين الدول المتقدّمة في العالم ضمن هذا المجال. ولهذه القدرة دلالةٌ إزاء النتائج التي يُمْكن الحصولُ عليها، بسبب العوامل الخاصة بعنصر نوعيّة الطاقة البشريّة التي تستطيع التعاملَ مع عنصر النوعيّة التكنولوجيّة في ميدان المعركة المستقبليّ.(١)

٤ ـ يتزايد التوجّهُ بين دول المنطقة نحو استخدام الصواريخ البالستيّة الحاملةِ

---

* ـ باحث إستراتيجيّ من لبنان.

١ ـ تسفي لينير، «عنصر التوعية في سباق القوّة،» **شؤون الأوسط**، العدد ١٠٦، ربيع ٢٠٠٢، ص ١٠٠.

للرؤوس التقليديّة، بسبب توافرها. ويجري التأكيدُ على أهميّة الصواريخ غير التقليديّة في التفكير الإستراتيجيّ لهذه الدول، وهو ما يعطي أيَّ حربٍ مقبلةٍ طابعًا خاصاً يتميّز عن الحروب السابقة.

٥ ـ تتميّز أجيالُ الأسلحة المستخدمة في ميدان القتال المستقبليّ بخصائص عمليّة عدّة، أبرزُها أنّها ستؤمّن المزيدَ من القدرات التدميريّة والمناورة والمحافظة على البقاء (يُمْكن أن يركَّب على هيكلها أجهزةٌ حديثةٌ)، وستمكّن من تقليص السيطرة بسبب أجهزة جمع المعلومات الحديثة، وسيزداد استعمالُ الفضاء لاستخدامها بفعل تجديد نوعيّة الصواريخ. حيال ذلك، اتّسعت التوقُّعات في شأن دور الطائرات في أيّ معركة مقبلة. واستنادًا إلى د. شموئيل غوردن (عقيد طيّار احتياط ومن كبار باحثي مركز جافي)، كان للنجاح الإسرائيليّ في تدمير معظم القوّة الجويّة للدول العربيّة خلال ساعات في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أثرٌ كبيرٌ في التغيّر الجذريّ الذي طرأ على العقيدة القتاليّة للجيش الإسرائيليّ، تجلّى في التركيز على دور الطائرات. أمّا بعد حرب الخليج الثانية فقد أُعيدت النقاشاتُ حول أهميّة القوّة الجويّة، وضمّنها تساؤلاتٌ حول إمكان إخضاع العدوّ بالقوّة الجويّة وحدها. وإلى الآن لم تُحْسم هذه المسألة في صورة واضحة.[1] وفي ظلّ الغموض الذي يكْتنف مكانةَ سلاح الجوّ الذي كان في السابق رأسَ الحربة، فإنّ أيّ حرب مقبلة قد تَشْهد مفاجآتٍ نوعيّةً في مجريات الحرب ونتائجها العمليّة.

٦ ـ يوحي التعاظمُ الكميُّ والنوعيُّ الذي طرأ على تسلّح دول المنطقة بصورة الحرب المقبلة، من حيث تكلفتُها البشريّةُ والاقتصاديّةُ. ويراها أحدُ الباحثين الإسرائيليّين أسوأَ حربٍ ممكنةِ الوقوع، لأنّ نتيجتها ستكون مكلفة جدّاً وليس لها سابق، وسوف تكتنفها صعوبةٌ كبيرةٌ في تجسيد مسألة التفوّق التقليديّ للجيش الإسرائيليّ، وستكون قدرةُ إسرائيل في مجال المناورة أمام اختبارات صعبة بفعل زجّ كميّةٍ ضخمةٍ من الأسلحة في مناطق قتاليّة صغيرة نسبيّاً. وفي الاتجاه نفسه، فإنّ المخزون الذي كدّسته الجيوشُ العربيّة يَجْعل الاختراقَ الإسرائيليَّ السريعَ لصفوفها واقتحامَ مواقعها موضعَ شكّ. كما أنّ إسرائيل لا تستطيع تحمُّلَ الخسائر المترتّبة في الأفراد والأسلحة. وعلى سبيل المثال، فإنّ وضع القوات السوريّة مقابل الجولان معزَّزٌ بالتحصينات والدشم والألغام والحواجز المضادّة للدبّابات، إلى درجةِ أنّ أيّ محاولة للقيام بهجوم مشاةٍ سوف تكون مُكْلفة بأكثر من طاقة إسرائيل، وخصوصًا أنّ ما لا يقلّ عن عدّة فرق عسكريّة سوريّة كاملة تتمركز بين الجولان ودمشق، معزَّزةً بما لا يقلّ عن ٢٥٠٠ دبابة، فضلاً عن قطع المدفعيّة وبطّاريّات الصواريخ.[2]

٧ ـ على النقيض من التضخيم الذي تتّصف به تقديراتُ أغلبيّة المهتمّين الإسرائيليّين حول المخاطر التي تتربّص بإسرائيل من أيّ حرب مستقبليّة، يَرْسم آخرون مَشْهدًا يحاولون فيه إشاعةَ الاطمئنان في المجتمع الإسرائيليّ، وتوجيهَ رسالة رادعة إلى العرب. يَزْعم د. شموئيل غوردن أنّ الجيش الإسرائيليّ بلغ مستوى من التعاظم يُمكّنه من التغلّب على الخصم حتى في حالة تحالف غير معقول يضمّ جيوشَ دول المواجهة (مصر وسوريا والأردن) بدعم عراقيّ. ويقدّر غوردن أنّ التفوّق الإسرائيليّ على الجيوش المعادية يبلغ ١:٣٠ في حالة الهجوم، و١:١٣ في حالة الدفاع. وهذا يدلّ على أنّه يتمّ الاستنادُ في حساب هاتين النسبتيْن إلى الدمج بين المقادير الكميّة والميزات النوعيّة للأسلحة والوسائط المتنوّعة الموجودة في حوزة الطرفيْن.

١ ـ رؤوفين فدهتسور، تقرير **هارتس** ٢٠٠١/١٢/٩.

٢ ـ أمنون برزيلاي، **سلام وأمن في الجولان** (جامعة تل أبيب، مركز جافي للدراسات الاستراتيجيّة، ١٩٩٩)، ص ١٢٠.

الردّ الإسرائيليّ على تهديد الصواريخ

استباقًا لأيّ حرب ممكنة الوقوع، ووفقًا للمفهوم الذي تبلور في سنواتٍ ما بعد حرب الخليج الثانية، رَفَعَ الجيشُ الإسرائيليُّ سويّةَ استعداده لمواجهة الصواريخ البالستيّة على صعيديْن: الدفاعُ السلبيّ، الذي يَعْني توزيعَ وسائل وقاية على السكّان؛ والدفاعُ الإيجابيّ (الفعّال) الذي يَنْطوي على محاولة اعتراض الصواريخ قبل وصولها إلى إسرائيل،[1] واحتلالِ وسائل الردع عبر الردّ الحاسم على مصادر التهديد. وقد استوجب ذلك عرضَ وسائل عدّة لمحاولة الاعتراض هذه، أو ما أُطلق عليه «الشبكاتُ الدفاعيّةُ الأربع،» وذلك على النحو الآتي:

١ ـ مشروع موآب (المسمّى نظام إسرائيل للاعتراض فور الانطلاق) الذي اقترحتْه هيئةُ تطوير الوسائل القتاليّة (رفائيل) وبدأ إنتاجُه منذ عام ١٩٩٧. ويتضمّن نموذجيْن لطائرات من دون طيّار تحلّقان فوق منصّات الصواريخ المعادية، مع قدرة على المكوث في الجو نحو ٦٠ ساعةً. النموذج الأول يَحْمل مجسّات اكتشاف المنصّات، والنموذج الثاني يَحْمل صاروخ جوّ ـ جوّ يدمّر الصاروخَ البالستيَّ المعادي فور اكتشاف إطلاقه. وتَكْمن أهمُّ ميزة لهذا النظام في قيمته الردعيّة، إذ يَكْفي أن يَعْرف المهاجمُ أنّ قسمًا من الصواريخ التي يُطْلقها سيَنْفجر فوق أراضيه حتى يمتنعَ عن إطلاقها.

٢ ـ مشروع صاروخ حيتس (السهم ـ آرو) الذي يَجْري تطويرُه في إسرائيل بشراكة أميركيّة أكبر في التكنولوجيا والتمويل، ويخصَّص للتعامل مع أيّ صاروخ بالستيّ معادٍ (على ارتفاع أكثر من ٥٠ كم) يُفْلت من شبكة الحاجز الأول (موآب). ويقدِّر الخبراءُ أنّ لصاروخ حيتس عيوبًا كشفتْها تجاربُ الإطلاق المتكرّرة، وخلاصتُها أنّ قدرةَ هذا الصاروخ على إصابة هدفه ضئيلة، وأنّ كلَّ صاروخ بالستيّ (من طراز سكود مثلاً) يكلِّف ١٠٠ ألف دولار، بينما يكلِّف صاروخا حيتس اللازمان لإسقاطه مليونيْ دولار.[2]

٣ ـ شبكة صواريخ پاتريوت التي حَصَلتْ إسرائيلُ عليها من الولايات المتحدة (اعتبارًا من أواخر العام ١٩٩٠)، ومهمّتُها اعتراضُ الصاروخ البالستيّ الذي يَنْجو من صاروخ حيتس ويَخْترق الأجواءَ الإسرائيليّة، لإسقاطه وهو على ارتفاع ٢٠ كيلومترًا. بيد أنّ تجربة إسرائيل في اعتراض الصواريخ العراقيّة أَثْبتتْ محدوديّةَ فاعليّة هذه الشبكة.

٤ ـ مشروع THEL (نظام الليزر التكتيكيّ المتفوّق) المعروف باسم ناوتيلوس (نسبة إلى الإدارة التي أقيمت في وزارة الدفاع الأميركيّة للإشراف عليه). وكان الغرضَ الأساسيَّ منه اعتراضُ صواريخ الكاتيوشا، ثم طُوِّر لمواجهة الصواريخ البالستيّة. ومهمةُ هذا النظام إطلاقُ حزمةٍ ليزريّةٍ ذاتِ طاقة كبيرة لتدمير أيّ صاروخ يستطيع الإفلاتَ من شبكات الحواجز الثلاث السابقة. وقد جَرَتْ تجاربُ عدّةٌ على هذا النظام،[3] ومن المقدَّر أنّه بلغ المراحلَ الأخيرةَ لإنتاجه.

يشكّك المتخصّصون الإسرائيليُّون في إمكان إغلاق الأجواء الإسرائيليّة في صورة مطلقة عبر هذه الشبكات، ومن ثم فإنّ أيّ صاروخ بالستيّ يتجاوزها يَكْفي للحُكْم عليها بالإخفاق. ذلك أنّ هذا الصاروخ ـ في الاحتمالات الإسرائيليّة ـ قد يَحْمل رأسًا نوويّاً أو كيميائيّاً أو بيولوجيّاً يَحْمل فيروسَ الجدريّ أو الطاعون أو الإيْدز. وسوف يَسْتهدف في الأغلب المنطقةَ الحيويّةَ الإسرائيليّةَ التي

١ ـ رؤوفين فدهتسور، «ثورة تنطوي على مشكلات،» **هآرتس**، ٢٠٠٠/٩/١٩.

٢ ـ عاموس هرئيل، «إسرائيل من أكثر الدول عرضةً لتهديد الصواريخ البالستيّة،» **هآرتس** ٢٠٠٠/٨/٢٥.

٣ ـ غابي كسلر، **معاريف**، ١٩٩٩/١٢/٢، ص ١٠.

اس اس ٣٠٠ الروسيّ: صاروخ قد يَضَع الكيان الصهيونيّ مكشوفًا

تتّصف بكثافة السكانَ والمنشآت. ومع عدم استبعاد نتيجة كهذه، يخيِّم على تفكير الإسرائيليِّين شبحُ التهديد الصاروخيّ، ويَجْثم على صدورهم رعبُ التعرُّض لأسلحة التدمير الشامل. وهو ما يَرْفع الرغبةَ الإسرائيليّةَ في التصدّي للتسلّح العربيّ إلى درجة الاحتقان، الأمرُ الذي استوجب من إسرائيل تطويرَ ثلاثة أنواع جديدة من الصواريخ البالستيّة الطويلة المدى، فضلاً عن نوعين من الصواريخ المضادّة للصواريخ البالستيّة. واستنادًا إلى تقرير حول «عملية تحديث جيش الدفاع الإسرائيليّ» في غضون العقد المقبل، قالت **هاآرتس** إنّ برنامج تطوير هذه الصواريخ الذي تَبْلغ كلفتُه ٣٠ مليار دولار أميركيّ يأتي في إطار خطّة للقوات الجويّة الإسرائيليّة لمواجهة تهديدات آتية من دول بعيدة لكنّها معاديةٌ لإسرائيل.[١] وعلى خلفيّة ذلك يعتقد إسحق بن إسرائيل، رئيسُ هيئة أبحاث التطوير الإسرائيليّة، أنّ المفهوم الدفاعيّ الإستراتيجيّ الجديد المضادّ للصواريخ يَنْبغي أن يكون قادرًا لا على التصدّي للصواريخ المعادية بعد فترة وجيزة من إطلاقها فحسب، بل على إصابة المنصّات المعادية قبل الانطلاق أيضًا.[٢]

امتلاك الطاقة المكثفة

في هذا السياق أشارت تقديراتُ الخبراء الإستراتيجيِّين في الغرب إلى أنّ دول الشرق الأوسط (بالمفهوم الذي يَشْمل باكستان) تتّجه نحو امتلاك الطاقة المكثّفة لإنتاج الصواريخ، ونحو تطوير مدى الصواريخ وربما تزويدها بأنظمة التوجيه الدقيق. والأهمّ من ذلك أنّها تتّجه نحو امتلاك قدرات الأسلحة غير التقليديّة. وإذا استمرّ تطوُّرُ الأمور على ما هو عليه، فسيَدْخل الشرقُ الأوسطُ بأكمله في حقبة الردع غير التقليديّ الذي ربما يُثْمر عن توازن الرعب، وذلك خلال الربع الأول من القرن الحادي والعشرين.

لقد أدّت الصواريخُ البالستيّةُ لدى العرب وإيران إلى زعزعة عقيدة الأمن الإسرائيليّة، وإلى بطلان نظريّة الحدود الآمنة التي كانت تسعى إليها الإستراتيجيّةُ الإسرائيليّةُ، وإلى تحوّل في الصراع العربيّ ـ الإسرائيليّ بحيث بات صراعًا تَشْترك فيه إيرانُ مباشرةً. وبكلمة، ألغت الصواريخُ الحدودَ والأبعادَ الجغرافيّة، ولم تعُد المواجهة تَقْتصر على الدول الملاصقة لإسرائيل. واقتضى هذا الأمر تعديلَ العقيدة الدفاعيّة الإسرائيليّة، بحيث أَصْبح من السهل على إسرائيل توجيهُ ضربات استباقيّة وإجهاضيّة للدول العربيّة الملاصقة بها، ولكنّ الأمر غايةٌ في الصعوبة مع إيران. غير أنّ المراقبين يلاحظون تحالفًا إسرائيليًا ـ تركيًا تدريبيًا، قد يتحوّل إلى وجود عسكريّ إسرائيليّ دائم على الأرض التركيّة. ولا تشكّ الدول العربيّة في أنّ ما بين تركيا وإسرائيل هو تحالفٌ سياسيّ عسكريّ قد يكون أحدَ احتمالاته القويّة إعطاءُ إسرائيل قاعدةً جويّةً في الزاوية الجنوبيّة الشرقيّة لهضبة الأناضول، ويكون من شأن ذلك تهديدُ ثلاث دول: إيران والعراق وسورية.

القدرات الصاروخيّة والنوويّة الإيرانيّة والمخاوف الأميركيّة ـ الإسرائيليّة

إزاء ذلك أعادت الدوائرُ الديبلوماسيّةُ والاستخباراتيّةُ الأميركيّة ـ الإسرائيليّة التركيزَ على الخطر الإيرانيّ، وتداولتْ معلوماتٍ مذهلةً حول القدرات التسليحيّة غير التقليديّة التي تَشْمل امتلاكَ تكنولوجيا الصواريخ البعيدة

١ ـ **هاآرتس**، «إسرائيل تَسْعى إلى تطوير برامج للصواريخ،» ترجمة جريدة **المستقبل** اللبنانيّة، ٢٠٠٠/٤/١٤.

٢ ـ محمود عزمي، **الحياة** ٢٠٠٢/١/٢٥، تعليقًا على مقال «إسرائيل تطلب من أميركا ضربَ العراق،» **هاآرتس** ٢٠٠٢/١/٢.

المدى، إلى جانب التحكُّم في المواد الانشطاريّة التي يَسْتلزمها إنتاجُ القنبلة النوويّة التي حدَّدتْ إسرائيلُ إمكانيةَ امتلاك إيران لها في العام ٢٠٠٥، الأمر الذي يَسْتوجب في نظرها احتواءَ خطرها الآن.(١)

وكانت إيران قد طوَّرتْ عائلةً من الصواريخ غير الموجَّهة (نازيت) ذاتِ الوقود الصلب. إلاّ أنّها منذ ١٩٩١ بدأتْ بتصنيع سكود ـ سي الذي يصل مداه إلى ٥٥٠ كيلومترًا. وهناك تقارير تتحدّث عن قيامها بتطوير صاروخيْن بالستيَّيْن جديديْن يَعْملان بالوقود الجافّ، هما اشتقاقان للصاروخَيْن الصينيَّيْن م ـ ١١ وم ـ ٩، بمحمولات مخفّفة وبمدى يبلغ ٤٠٠ كيلومتر للصاروخ الأوّل و٨٠٠ كيلومتر للصاروخ الثاني.

وفي عام ١٩٩٢ بدأتْ إيران بتطوير صاروخ من مرحلة واحدة، يَعْمل بالوقود السائل، أُطْلق عليه شهاب ـ ٣. وفي تموز (يوليو) ١٩٩٨ أجرت إيران أولى تجاربها عليه. ويُشْبه شهاب ـ ٣ الصاروخَ الكوريَّ الشماليَّ نودنغ ـ ١، ومن المحتمل أنّ يَستخدم بعضَ تقنيّات الصاروخ سكود ـ بي ولكنْ بمحرّك أكثر تقدُّمًا. ويتراوح مداه بين ١٣٠٠ و١٥٠٠ كيلومتر. وأشارت التقاريرُ إلى أنّ برنامج التطوير لايزال على قدم وساق، وأنّ الهدف التالي هو صنع شهاب ـ ٤ الذي يَبْلغ مداه ٢٠٠٠ كيلومتر. وتحدّثت تقارير عن أنّ كوريا الشماليّة تساعد إيران في برنامج جديد يَهْدف إلى صنع الصاروخ شهاب ـ ٥ الذي يَرْتكز على تصميم الصاروخ الكوريّ الشماليّ تايبو دونغ ـ ١، وهو الصاروخ الذي اختبرته كوريا الشماليّة في آب (أغسطس) ١٩٩٨ وكاد يسبّب أزمةً حادةً مع اليابان. ويبلغ مدى هذا الصاروخ بين ٣٥٠٠ و٥٠٠٠ كلم.

هذا وقد أَعْلن وزيرُ الدفاع الإيرانيّ الأدميرال علي شمبخاني أنّ بلاده تُجْري مفاوضاتٍ جديّةً مع روسيا لشراء أنظمة دفاع جويّ من طراز اس اس ـ ٣٠٠ متخصِّصة لحماية مفاعل بوشهر النوويّ، وذلك بعد أنْ قطعتْ شوطًا بعيدًا في تطوير قدراتها البالستيّة المتوسطة أو البعيدة المدى. وقد أَقْلق ذلك الثنائيّ الإسرائيليّ ـ الأميركيّ الذي يُدْرج إيرانَ ضمن محور الشرّ، وفقًا للمعلومات التي حدَّدت الترسانةَ الصاروخيّةَ والبرنامجَ النوويَّ كالتالي:(٢)

نوع الصاروخ	المدى	الوقود	بلد المنشإ
سكود ـ بي	٢٠٠ كلم	سائل	كوريا الشماليّة
سكود ـ سي	٦٠٠ كلم	سائل	كوريا الشماليّة
عقاب	٤٠ كلم	صلب	الصين
نازيت	١٣٠ كلم	صلب	الصين
م ـ ١١	٢٨٠ كلم	صلب	الصين
م ـ ٩	٥٦٠ كلم	صلب	الصين
شهاب ـ ٣	١٢٠٠ لم	صلب	روسيا ـ الصين
شهاب ـ ٤	١٦٠٠ كلم	صلب	روسيا ـ الصين

١ ـ تقرير CIA، «المعلوم والمجهول في الترسانة النوويّة الإيرانيّة،» وكالة الأنباء الفرنسيّة في ٢٠٠٢/١/٨.

٢ ـ خدمة **لوس أنجلوس تايمز** ٢٠٠١/٥/٢٦.

وفي هذه الأثناء كشفتْ تقاريرُ استخباراتيّةٌ أنّ صواريخ شهاب ـ ٣ وشهاب ـ ٤ تَسْتهدف أيضًا قاعدةَ أخاريا جنوب شرق تل أبيب، وهي تضمّ صواريخَ بعيدةَ المدى قادرةً على حمل رؤوس نوويّة. وأظهرتْ صورٌ لأقمار اصطناعيّة أنّ الصواريخ ليست مخزّنةً في ملاجئ محميّة يُمْكنها أن تَصْمد أمام هجوم نوويّ. والصاروخ الصينيّ من طراز أم، وهو دقيق في إصابة الأهداف، قادرٌ على إلحاق أضرار خطرة. وفي التقارير أنّ الكهوف والسراديب الإيرانيّة، خلافًا لمثيلاتها الإسرائيليّة، محصّنة ولا تَنْفذ إليها الموجاتُ الإشعاعيّةُ أو القنابلُ الفراغيّةُ المسمّاة «قنابلَ الأعماق.»

مذكرة إسرائيليّة إلى بوش: أنقِذوا إسرائيل من الصواريخ

وقد رافق الاستنفارَ الإسرائيليَّ مذكّرةٌ قُدِّمتْ إلى الرئيس جورج بوش بعنوان «أَنقِذوا إسرائيل من الهجوم الصاروخيّ.» ذلك لأنّ إسرائيل، بحسب المذكّرة، مهدّدة بخطر الدمار الشامل بسبب سماح الولايات المتحدة بالإخلال بتوازن القوى العسكريّة في الشرق الأوسط، الأمرُ الذي يَحْرم الدولةَ العبريّةَ من التفوّق النوعيّ لبرامجها العسكريّة. وتورد المذكّرة وجودَ صفقة صواريخ هاربون ـ ٢ الأميركيّة لمصر، ومعها مجموعةٌ من الزوارق المطاطيّة، بقيمة ٤٠٠ مليون دولار.

وأمام الحيثيات والوقائع المثيرة التي تهدّد وجودَ الدولة العبريّة (!) تقدّمتْ تل أبيب بمطلبَيْن:

ـ المطلب الأول هو إلغاء صفقة صواريخ هاربون ـ ٢ لمصر.

ـ المطلب الثاني مركّب. فإسرائيل تريد اعتمادَ الإدارة الأميركيّة ميزانيةً إضافيّةً لتطوير الصاروخ الإسرائيليّ آرو، وذلك في ميزانيّة العام ٢٠٠٣، فضلاً عن الاعتماد الذي تضمّنتْه ميزانيةُ ٢٠٠٢ لتطوير استكمال النظام الصاروخيّ نفسه. أما الجانب الآخر من المطلب فهو أن تَسْمح الولايات المتحدة بمدّ تل أبيب بكلّ المعلومات التي تَجْمعها شبكةُ الأقمار الصناعيّة، الأميركيّةُ والسابحةُ في الفضاء الخارجيّ، لتراقب وتتجسّس على حركة الكون.(١)

على هذه الخلفيّة، حظيتْ فكرةُ النظام الأمنيّ الشامل القائم على التفوّق والردع الاستراتيجيّ بالمرتبة الأولى من سلم أولويّات العمل الإسرائيليّ العام. ويُعدّ كتاب **الأمن القوميّ أقليّة مقابل أكثريّة**،(٢) الصادر في تل أبيب عام ١٩٩٦ للباحث الاستراتيجيّ اللواء الاحتياط يسرائيل تال، بمثابة دليل نظريّ لأسس هذه النظام. وفيه يحذّر تال من خلل في ميزان القوى لغير مصلحة إسرائيل بسبب دخول صواريخ أرض ـ أرض إلى المنطقة؛ فهذه الصواريخ تعوّض العربَ عن التفوّق الإسرائيليّ الجويّ، فلا يتكرّر ما حدث في حرب الخليج الثانية حين انكشفتْ إسرائيل أمام ضربات الصواريخ العراقيّة. إنّ إسرائيل، بحسب تال، تَحْتاج إلى «قدرة ردع استراتيجيّة» لمنع نشوب حرب، وهذا الردع يجب ألاّ يستند إلى الطائرات فحسب، وإنّما أيضًا إلى الصواريخ القادرة على تهديد أهداف وجوديّة للعدوّ وردع دول بعيدة.

ومع ذلك فإنّ امتلاك الدول العربيّة وإيران للطاقة المكثّفة لإنتاج الصواريخ البالستيّة يؤدّي إلى زعزعة العقيدة العسكريّة الإسرائيليّة، وإسقاطِ العمق الجغرافيّ الإسرائيليّ، وفرضِ موازين قوى جديدة على المنطقة. وهذا ما تخشاه إسرائيل من قَدَرٍ يَحْدث خارج الحسابات القديمة.

بيروت

١ ـ «مذكرة إسرائيل إلى الرئيس بوش،» ٢٠٠٢/١/٧.

٢ ـ يسرائيل تال، **الأمن القوميّ أقليّة مقابل أكثريّة**، مقتطفات في جريدة **هاارتس**، ١٩٩٧/١٠/٤.